الكرمُ والضِّيافة

الإيمانُ والبُخل لا يجتمعان[1]، وقد جاء الأمر القرآني للعَربِ ألَّا تُسرفوا، وَلَم يَقلْ لَهم: كُونُوا كُرَمَاء!، لأنَّ العَربيَّ بِطبعه كَريمٌ.

لَقد نَزَحَ النَّاس في هذه الحَربِ دُون لِباسٍ ولا طَعامٍ ولا فِراش، فبانت شَهامةُ الكَثيرين، وآووا إِخوانهم، فَآواهُم الله!.

لقد آوى بَعضُ النَّاس المُجاهدين في بيوتهم، رَغمَ أنَّ هَذا كَان قَراراً صَعباً جِدَّاً، لأنَّ احتماليةَ أن يُقصفوا جَميعاً هي احتمالية تتجاوز 90%، لكنَّهم أرادوا أنْ يَكُونوا مِنَ الذِين آووا ونَصَرُوا، فحفظهمُ اللهُ وسلَّمهم، وَقَد أفتى الشَّيخ نِزار ريَّان ﷺ أنَّ الذِي يَمنعُ المُجاهدين مِن الإيواءِ داخِلٌ في إثم قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة الأنفال: 16].

لَقد رأيتُ مَن يَقسِمُ الفِراش بينه وبين ضُيوفه، ورأيتُ من يُخزِّن الفِراشَ وكأنَّه يُريد أن يَفتَتِح مَصنعاً للإسفنج!، يقول النبيُ ﷺ: (فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لِامْرَأَتِهِ،وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ)[2]، ويقول النبيُ ﷺ أيضاً: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ)[3]، لَقد كَان هَذا الحديثُ النَّبوي هُوَ عنوان المرحلة.

إنَّ الكَرم لا يَظهرُ في السِّلم والرَّخاء، بل في وَقتِ الشَّدائد، سُئل سَيِّدي رسول الله ﷺ: (أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَوَتَأْمُلُ الغِنَى، وَلَا تُمْهِلُ

(1) قال ﷺ: (لَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا). حديث صحيح أخرجه النسائي في سننه، حديث رقم 3110.
(2) صحيح مسلم، حديث رقم 2084.
(3) صحيح مسلم، حديث رقم 1827.